إسهامات الدراسات الاستغرابية في تصحيح صورة الإسلام وبناء حوار فعال مع الغرب

Contributions of Western studies to correcting the image of Islam and building an effective dialogue with the West.

Dr. Abdelfattah Mahfoud

د. عبد الفتاح محفوظ[1]

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن إسهامات الدراسات الاستغرابية التي تُخضع العالم الغربي للدراسة والبحث في الحد من خطاب الكراهية والإساءة إلى الإسلام بدعوى حرية التعبير، وتصحيح التصورات السلبية الخاطئة والنمطية التي تروج وتشيع حول الإسلام والمسلمين في البيئة الغربية؛ وكما يستهدف هذا البحث بيان مدى مساهمة هذا النوع من الدراسات في فهم الآخر الغربي، وكذا تفعيل الحوار الحضاري المبني على أسس علمية وفكرية ومعرفية عميقة، غايته بناء علاقات متوازنة بين العالم الإسلامي والغربي.

وقد أوصت الدراسة بضرورة زيادة الاهتمام والعناية من طرف العالم العربي الإسلامي بالبحث في قضايا الغرب من خلال دعم وتشجيع مراكز البحث العلمي والمراكز الجامعية بالتعليم العالي بإنشاء أقسام علمية تدرس تراث الغرب وحضارته وسلوكياته ومعتقداته وقيمه الدينية وطوائفه العرقية في بُعد تام عن الأخطاء التي وقعت فيها الدراسات الاستشراقية.

[**الكلمات المفتاح:** الدراسات الاستغرابية - الإسلاموفوبيا - الغرب - الحوار الحضاري - الدراسات الاستشراقية]

Abstract:

This study endeavors to reveal the contributions of Western studies in mitigating hate speech and defamation against Islam, often justified under the pretext of freedom of expression. It seeks to rectify inaccurate and stereotypical negative perceptions surrounding Islam and Muslims within the Western milieu. Additionally, the research aims to elucidate the impact of this genre of studies on understanding the Western perspective. Furthermore, it strives to activate a cultural dialogue founded on profound scientific, intellectual, and knowledge-based principles, ultimately aspiring to foster

(1) دكتوراه في الفقه وأصوله. جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

balanced relationships between the Islamic and Western worlds. The study recommends the necessity for increased attention and care from the Arab Islamic world towards researching Western issues. This can be achieved by supporting and encouraging scientific research centers and higher education institutions to establish academic departments dedicated to studying the heritage, civilization, behaviors, beliefs, religious values, and ethnic sects of the West. It emphasizes the importance of distancing these studies from the pitfalls encountered by Orientalist research.

[**Keyswords**: Western studies – Islamophobia - the West - Civilizational Dialogue - Orientalist Studies].

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

إن قضية نشر مشاعر الخوف والتحامل والكراهية والإساءة إلى الإسلام والمسلمين ليست وليدة عصرنا الحالي، وإنما تمتد جذورها وإرهاصاتها الأولى منذ بعثة النبيﷺ في مكة المكرمة، فقد أساء المشركون إلى كتاب الله الكريم كما في قوله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: 4- 5)، وإلى شخصية الرسول محمدﷺ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: 6)، وقوله سبحانه: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: 4).

يضاف إلى ذلك ما قام به المشركون من تعريض المسلمين حينذاك لكافة أصناف التعذيب والإقصاء؛ فقاطعوهم في شعب أبي طالب، وأخرجوهم من ديارهم، وأذاقوهم كل أنماط العذاب والتنكيل والتحريض، والناظر في كتب ومصنفات الحديث والسير يلفيها حافلة بما واجهه المؤمنون من إذاية وتعذيب وفتن عظيمة في دينهم.

بيد أن مشاعر الكراهية والخوف والحكم المسبق ضد الإسلام والمسلمين قد تجددت اليوم كذلك بشكل واضح، وأضحت ظاهرة الإسلاموفوبيا من بين الأسباب والبواعث التي تغذي كل مظاهر الحقد وكراهية العرب والمسلمين، فكثر للأسف الشديد الهجوم على

الإسلام والتشكيك في نبيهﷺ والعدوان عليه بالافتراءات والأكاذيب والدعوات العنصرية والمواقف التحريضية، وقد باتت آثار ذلك ونتائجه السيئة واضحة وجلية في الجاليات والأقليات المسلمة؛ فأضحى العديد من المسلمين في العالم يعانون من أشكال مختلفة من العنصرية والتمييز والعنف والتطرف والتشويه بسبب الدين، كما انتشرت وشاعت سياسات الاضطهاد والتهجير القسري والاستئصال الديمغرافي للأقليات المسلمة في العديد من الدول في العالم المعاصر، من قبيل ما يقع للأقلية المسلمة في الصين والهند والأقلية المسلمة في إفريقيا الوسطى وغيرها.

ولم يقتصر وقع هذه الظاهرة على المسلمين خارج العالم الإسلامي فحسب، إنما برزت آثارها وانعكاساتها حتى داخل أوساط ومجتمعات المسلمة ذاتها، فظهرت على إثر ذلك محاولات عديدة للتنبيه على خطورة ذلك، فعقدت الندوات والمؤتمرات تترى؛ قصد إيجاد السبل الكفيلة لمجابهة ظاهرة الإسلاموفوبيا واستيعابها من أجل التصدي لجذورها وأسبابها، بتوظيف كل الأشكال والدفوعات الفكرية والقانونية والحقوقية والسياسية والعلمية.

وإذا كانت اتجاهات الدراسات الاستشراقية القديمة أسهمت بشكل لافت منذ مدة ليست بالهينة في تشكيل صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وطبعت في مخيلة الغربيين صورة نمطية عن الإسلام، تتسم أحيانا بالعنف وسفك الدماء والبربرية والتخلف، فإننا مطالبون اليوم وفقا للعديد من الباحثين المهتمين بدراسة العلاقة بين العالم الإسلامي والغربي بالاعتناء بإجراء دراسات عن الغرب برؤية شرقية قياسا على دراسات الاستشراق، وليس محاكاة واقتداء بمنهجها وتوجهاتها وغاياتها الدفينة، وذلك من خلال القيام بدراسات علمية جادة ودقيقة وفاحصة تروم معرفة الغرب معرفة حقيقية شاملة وأهدافه ومخططاته ونظرته للمسلمين، خاصة إذا علمنا أن ظاهرة الإسلاموفوبيا ترعرعت ونشأت في المجتمع الغربي، وأسهم الغرب للأسف الشديد في إذكاء هذه الظاهرة باسم دعاوى حرية التعبير وقيم الديمقراطية وغير ذلك.

وهكذا خصصت هذه الدراسة للحديث عن إسهامات الدراسات الاستغرابية في الحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا والتخفيف منها؛ وذلك من خلال دراسة الحضارة الغربية والبحث عن أواصر وجسور الالتقاء الحضاري والثقافي؛ قصد وضع الحلول والطرق الاستراتيجية الفعالة للحد من منابع ومشاعر الخوف من الإسلام وخطاب الكراهية والتحريض،

مستحضرين في ذلك سنة الله في خلقه للناس بأن جعلنا فوق هذه الأرض شعوبا وقبائل لنتعارف، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

1. الدراسات السابقة لموضوع البحث:

لقد سبق باحثون معاصرون إلى مقاربة موضوع طبيعة وآفاق الدراسات الاستغرابية، وسأورد هنا بعض السوابق البحثية، وأردفها بالإضافة المعرفية لهذا البحث:

أ. «**حوارات في علم الاستغراب**»، هذا الكتاب عبارة عن حوارات مع مفكرين وباحثين في الفكر الفلسفي والسياسي وعلم الاجتماع مع العالمين العربي والإسلامي، أصدره المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ضمن سلسلة المشروع التأسيسي لعلم الاستغراب، ودارت جل حواراته حول مفهوم وطبيعة وآفاق الدراسات الاستغرابية وآثارها في فهم عميق للغرب، كما تناول أصحابها ضرورات وشروط التأسيس لعلم الاستغراب، وكذا الحقول المعرفية المستهدفة فيه، منبهين في ذلك على ضرورة تجاوز الاستشراق السلبي واتجاهاته.

ب. «**فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر نحو رؤية موضوعية في استكشاف الآخر**»، للباحث عز الدين معميش، تناول فيه بالدراسة والنقد مناهج وخلفيات فكر الاستغراب في المجال التداولي العربي والإسلامي، وقدم نماذج توضيحية على ذلك، كما بيّن أيضا أن فكر الاستغراب غايته استشكاف الآخر الغربي ومعرفته معرفة دقيقة، باستيعاب مضامين حضارته ومكونات بنيته وسيرورة تاريخه، داعيا إلى استثمار ذلك في فقه التعامل مع الآخر الغربي، وتعزيز وتفعيل سبل الحوار الحضاري معه باعتماد منطلقات وأسس علمية متينة وأصلية.

ج. «**نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر**»، للباحث محمد سالم سعد الله، يعالج هذا البحث المنطلقات النظرية للمفكرين العرب المعاصرين حول ما صطلح عليه بـ(الاستغراب: Occidentalism) الذي يسعى إلى تحديد طبيعة العلاقة بين (الأنا والآخر) في سياق أن كون (الآخر) الغربي موضوعا للبحث والدراسة، ومن ثمة فالاستغراب ينبغي أن يتأسس على أساليب جديدة في معرفة (الآخر) ودراسته دراسة شاملة، ومدار هذه الدراسة على مبحثين اثنين هما: الأول:حول علم الاستغراب: المقدمات والنتائج، والثاني: عن علم الاستغراب: النقد والتوجيه.

وخلال تتبعي للدراسات التي أنجزت حول موضوع الاستغراب لم أجد أي بحث تناول بالبحث والدراسة أثر الدراسات الاستغرابية في تصحيح صورة الإسلام في الغرب، ومن هنا فالإضافة العلمية التي أنشدها لبحثي هذا الموسوم ب»إسهامات الدراسات الاستغرابية في تصحيح صورة الإسلام وبناء حوار فعال مع الغرب» هي الكشف عن أهمية الدراسات الاستغرابية التي تروم دراسة الغرب وفهمه فهما جيدا، وتنطلق من منطلقات وأسس علمية متينة في التصدي لكل أسباب وبواعث الخوف من الإسلام والمسلمين، ومقاومة ومجابهة كل ما يروج من صور نمطية في الغرب حول العرب والمسلمين.

2. إشكاليته:

وبناء على ما سبق يروم هذا البحث معالجة إشكالية أساسية مفادها؛ أنه إذا كانت الدراسات الاستغرابية تروم معرفة الآخر الغربي ودراسته دراسة فاحصة ودقيقة وهادفة، فإلى أي حد يسهم ذلك في التصدي لخطاب الكراهية والعنصرية التي يعاني منها المسلمون في البيئة الغربية، وكيف يمكن لدراسة الغرب دراسة علمية جادة تصحيح الصور النمطية الرائجة حول الإسلام والمسلمين في المجتمع الغربي، ولمقاربة هذا الإشكال نقترح الأسئلة الفرعية الآتية:

ما المقصود بالدراسات الاستغرابية وهل هي مقابلة للدراسات الاستشراقية؟

ما هي آثار الدراسات الاستغرابية في التصدي للأفكار والتصورات الخاطئة حول الإسلام والمسلمين في البيئة الغربية؟

وما آفاق الدراسات الاستغرابية وانعكاساتها في تفعيل وتعزيز الحوار الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي؟

3. أهدافه:

يروم البحث استيفاء الأهداف الآتية:

- أولا: بيان مفهوم وأهمية الدراسات الاستغرابية.
- ثانيا: بيان آثار الدراسات الاستغرابية في تصحيح التصورات الخاطئة الرائجة عن الإسلام في البيئة الغربية.

- ثالثا: رصد آثار الدراسات الاستغرابية في فهم الآخر الغربي وتعزيز الحوار الحضاري المبني على أسس علمية وفكرية ومعرفية عميقة.

4. المنهج العلمي:

سلك هذا البحث المنهج الوصفي في رصد تجليات وانعكاسات الدراسات الاستغرابية في تصحيح صورة الإسلام في البيئة الغربية، وكيف تسهم تلك الدراسات في البحث عن أواصر وجسور الإلتقاء بين المسلمين والغربيين، كما أفاد هذا البحث من المنهج التحليلي من خلال تحليل أثر إمكانية معرفة الغرب عبر الدراسات الاستغرابية الجادة وفهمه في مقاومة ظاهرة الإسلاموفوبيا والتخفيف من آثارها، كل ذلك من أجل الوصول إلى نتائج علمية للبحث، وضبط مداخله المنهجية والموضوعية.

5. خطة البحث:

وزعت خطة البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تضمنت الدراسات السابقة للبحث وإشكاليته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: في بيان مفهوم ودلالة الدراسات الاستغرابية.

المبحث الثاني: في بيان أهمية وفوائد الدراسات الاستغرابية.

المبحث الثالث: في تجلية أثر الدراسات الاستغرابية في تصحيح التصورات الخاطئة الرائجة عن الإسلام في البيئة الغربية.

الخاتمة:في استخلاص أهم نتائج الدراسة.

المبحث الأول: الدراسات الاستغرابية.. الدلالة والمفهوم

إن فكرة دراسة ومعرفة الغرب ليست فكرة جديدة، بل تعد فكرة قديمة أثارها الاحتكاك بالعالم الغربي قديما أثناء حقبة هيمنته الأخيرة التي تمتد إلى قرنين من الزمان، وحينما انطلقت هذه الفكرة لأول مرة فإنما انطلقت من التأصيل الإسلامي بالأساس، ففي ذات الوقت لم يكن في بلادنا مناهج تعلن القطيعة مع الأديان أو مع السلام[1].

وقد انبرى مؤخرا العديد من المفكرين والباحثين من أجل التنظيرلدراسة الغرب، والتأكيد على أهمية وفائدة ذلك، فأُطلق على الدراسات التي تدرس الغرب عدة المصطلحات، يدور معظمها حول مصطلح الاستغراب. هذا المصطلح الذي يقصد به في الاستعمال اللغوي المبالغة والإكثار من الشيء، ومنه «استغرب في الضحك وأغرب إذا أكثر منه، وفي الحديث أنه ضحك حتى استغرب أي بالغ وأكثر فيه»[2]، والدهشة والحيرة من غرابة شيء ما، وأصل الغَرْب في اللغة البُعْد[3]، كما أن لفظ «الاستغراب» من الفعل«استغرب» على وزن استفعل، وهو يفيد الطلب.

وفي هذا يقول مرتضي الزبيدي: «(واسْتَغْرَبَ) في الضحك مبنيّا للمعلوم، (واسْتُغْرِبَ) مبنيّا للمجهول أي أكثر منه، وهذه عن الصَّاغَاني، (و) يُقال: (أَغْرَبَ: بالغ في الضحك)، أو إذا اشتدّ ضحكه ولَجَّ فيه، واستَغْرَب عليه الضحك كذلك. وفي الحديث: «أَنَّه ضَحِك حتَّى استَغْرَبَ»[4]، أي بالغ فيه، يُقَال:أَغْرَبَ في ضَحِكه واستَغْرَب، وكأنه من الغَرْب وَهُوَ البُعْد. وقيل: هو القهقهة، وفي حديث الحسن: «إِذا استَغْرَبَ الرجلُ ضَحِكاً فِي الصَّلَاةِ أَعَادَ الصَّلَاةِ»، وقال: وهو مذهب أبي حنيفة ويزيد عليه إعادة الوضوء، وفي دعاء أبي هُبَيْرَة: «أَعوذُ بِكَ من كُل شَيْطان مُسْتَغْرِب وكُلِّ نَبَطِيَ مُسْتَعْرِبٍ»، قال الحربي :أظنه الذي جاوز القَدْرَفي الخُبْثِ، كأنه من الاستغراب في الضّحك، ويجوز أن يكون بمعنى المتناهي في الحِدَّة، من الغَرْب وهي الحِدَّة، قال الشاعر:

(1) محمد إلهامي، نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب، دار التقوى، مصر، الطبعة: 1436هـ/2015م، ص22.

(2) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، عبد الله الكبير وآخرون، القاهرة، دار المعارف، د.ت، مادة «غرب»، ص3225.

(3) محمد إلهامي، نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب، ص24.

(4) أبو جعفر الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى:1415 هـ، 1494م، باب: بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺمن قوله في الموالي: «لَيُقَاتِلُنَّكُمْ عَلَى هَذَا الدِّينِ عَوْدًا كَمَا قَاتَلْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بَدْءًا»، رقمه: 3533، ج9، ص161.

فَمَا يُغْرِبُونَ الضَّحْكَ إِلّا تَبَسُّماً لَا يَنْسُبُون القَوْلَ إِلّا تَخَافِيَا»[1]

وفي الاصطلاح يطلق مصطلح الاستغراب على معنيين:

المعنى الأول: التأثر بالغرب والافتتان والانبهار به وبحضارته ومتابعة وتقليد الغربيين في كافة أنماط النظر والفكر والتصورات، وقد اشتهر هذا المعنى أكثر بلفظ»التغريب»، ويؤكد ذلك الدكتور عبد الله الشارف حينما يعرف مصطلح الاستغراب بأنه: «ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة، يتميز الأفراد الذين يجسدونها بالميل نحو الغرب والتعلق به ومحاكاته، نشأت في المجتمعات غير الغربية؛ سواء أكانت إسلامية أم لا على إثر الصدمة الحضارية التي أصابتها قبيل الاستعمار وخلاله»[2].

والمعنى الثاني: يراد به دراسة الغرب برؤية شرقية مؤصلة، وبذلك فالاستغراب بهذا المعنى يهتم بدراسة الغرب من جميع النواحي العقدية والتشريعية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ومن هذا المنطلق عرف البعض مصطلح الاستغراب بأنه: «طلب الوسع في استكشاف ومعرفة الغرب»[3].

ونحن في هذا البحث سنجري بطبيعة الحال على استخدام الاستغراب بالمعنى الثاني الذي يقصد به دراسة الغرب برؤية ذاتية إسلامية؛ فإذا كان الغرب قد درسنا دراسة دقيقة وشاملة، وبذل الغالي والنفيس في ذلك من خلال الاستشراق الذي هو: «تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم وبلادهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم، ويدخل في المفهوم نفسه الدراسات التي قام بها الروس وسواهم من الشعوب الأخرى»[4]، فيحق لنا -نحن المسلمين- أن نحدوا حدوهم وندرس الغرب من جميع نواحيه كما فعل المد الاستشراقي.

---

(1) مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص473.

(2) عبد الله الشارف، الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر، منشورة نادي الكتاب لكلية الآداب بتطوان، مطبعة طوبريس، الرباط 2003، ص30.

(3) عز الدين معميش، فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر نحو رؤية موضوعية في استكشاف لآخر، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد100، 1441هـ/2020م، ص26.

(4) لخضر بن بوزيد، الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة الإسلامية، مجلة آفاق فكرية، العدد: الأول، ديسمبر 2013، ص4.

وبناء على ذلك فالدراسات الاستغرابية هي تلك الدراسات التي تروم دراسة الغرب من الداخل برؤية إسلامية شرقية عربية، فتخضع تراثه، شعوبه، تاريخه، أديانه، لغاته، أوضاعه الاجتماعية وعلاقاته الأسرية، مشكلاته الاقتصادية، وحضارته، وغير ذلك للبحث والتحليل العلمي الرصين عبر الاستناد إلى كل وسائل وطرق ومناهج البحث العلمي، وإنشاء مراكز بحثية وأقسام علمية متخصصة في هذا المجال، والقيام بدراسات وثائقية واستطلاعية، والمشاركة بالملاحظة عن طريق الاندماج الفعلي في المجتمع الغربي، والعمل على إرسال بعثات دراسية لأوروبا لمعرفة الغرب والبحث في تراثه وحضارته وقيمه ومعتقداته الدينية وطوائفه العرقية وهلم جرا.

كما يحسن التنبيه هنا أن هناك من أضفى على مصطلح الاستغراب صفة العلمية، وفي مقدمة هؤلاء حسن حنفي في كتابه»مقدمة في علم الاستغراب«، وكثير ممن جاء بعده، وسار على منواله، لكن هناك من اعترض على كون الاستغراب علما قائم الذات، ومن هؤلاء المعترضين الباحث عز الدين معميش، الذي يرى أن الدراسات الاستغرابية ما زالت لم تنضج بعد لتصبح علما مكتمل الأركان، إذ يقول في هذا الشأن: «لا وجود بداية لعلم اسمه: علم الاستغراب، بل هناك حركة علمية، وفكر متحرك انطلق لبلورة مناهج في فهم عميق للحضارة الغربية بعيدا عن المناهج المستوردة، والحركة موجودة في حضارات ودول أخرى غير عربية وغير مسلمة: مثل اليابان والصين والهند وكوريا وروسيا...، وتكمن المشكلة في القفز على المسلمات العلمية في التأسيس المعرفي للعلوم وتطورها التاريخي ومنهجها وفلسفتها وبنيتها؛ فليست المسألة مرتبطة بتأليف كتاب أو رغبة ملحة أو ردة فعل تجاه الخصوم والأعداء؛ لكنها مرتبطة بالعلمية والمنهجية والمصداقية»(1).

وهذا ما أكده الباحث محمد إلهامي في سياق حديثه عن التأصيل العلمي لدراسة الغرب، ورده عن حسن حنفي الذي ادعى أنه أسس علم الاستغراب، حيث يقول: «ومن المؤسف أنه لم تصدر حتى الآن دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم الاستغراب؛ فكتاب حسن حنفي لا ينطلق منطلقا إسلاميا بل هو أقرب للتعبير الجغرافي الثقافي عن الشرق والغرب، وكتاب حسن حنفي عليه الكثير من المؤاخذات فضلا عن أفكاره التي لا تجعله محسوبا على الرؤية الإسلامية بحال من الأحوال.

(1) فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر، ص65-66.

أما الرؤية الإسلامية لعلم الاستغراب فما زالت منثورة كأفكار وفقرات في كتب ودراسات ومقالات، وأغزر ما تكون على هذه الصورة عند الدكتور مازن مطبقاني...»[1].

وبالنسبة للدكتور علي النملة فالاستغراب يقابل «الاستشراق» من ناحية الدلالة والمصطلح، معتبرا إيّاه من المواضيع العميقة التي تحتاج إلى البعد عن السطحية الإعلامية في التناول والطرح، مشيرا لكونه مصطلحا حديثا تباين الناس في مدلوله، مفضلا وصفه منهجا علميا جديدا يدرس الغرب، على رغم كونه لم يصل بعد لمستوى العلم من حيث النظريات والمناهج والأهداف[2].

ومما سبق نستشف أن هناك وعيا لدى الباحثين في رؤيتهم لتأسيس وتأصيل الاستغراب، من ذلك أنه ينبغي أن لا يقابل الدراسات الاستشراقية في المنهج والغاية فيكون دراسة الغرب برؤية إسلامية ردة فعل آنية بسبب توتر العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، فيكون محاولة لاستنساخ مشوه لحركة الاستشراق التي ولدت نتيجة تداخل عدة عوامل وأسباب، من أبرزها مشروع الهيمنة الذي شرعت فيه الدول الغربية، منذ القرن السادس عشر، ولذلك كان من الواجب دراسة استقصائية تحليلية واسعة حول مصطلح»الاستغراب»، والحركة الفكرية التي ظهرت حول مضمونه في الآونة الأخيرة، محاولين تحييد الكثير من المفاهيم الخاطئة والمقاربات الطفيلية والتسطيحية التي لا تفرق بين دراسة تاريخ أوروبا وحضارة الغرب من جهة، والاستغراب كمشروع فكري يروم النفاذ إلى البنية الداخلية للحضارة الغربية بكل مكوناتها وإنتاج آليات موضوعية للفهم بعيدا عن المركزية الغربية التي تحكمت في إنتاج المعرفة والدراسات التاريخية والحضارية لفترة طويلة ولا تزال من جهة أخرى[3].

وعلى هذا الأساس فموضوع دراسة الغرب ما زال بكرا يفتقر إلى دراسات أكثر نضجا ودقة، ذلك أن: «الغرب كوجود اجتماعي وتاريخي (حدا أدنى) أو كبيئة ذات رؤى واستراتيجيات خاصة (حدا أقصى) أمر واقع لا شك فيه. وهو بحاجة على نحو مستمر إلى

(1) نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب، ص72.

(2) علي بن إبراهيم النملة، الاستغراب ظاهرة معاصرة تقابل الاستشراق، شبكة الألوكة:
https://www.alukah.net/spotlight (10/10/2023).

(3) عز الدين معميش، فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر، ص22.

أن يعرف ويدرس»[1]، ويذهب لمحمد إلهامي أثناء تتبعه للدراسات السابقة حول موضوع الاستغراب أنه لم يكتب في علم الاستغراب -بمعنى دراسة الغرب برؤية ذاتية إسلامية- دراسة بعد، فيما تبدو ملامح الرؤية الذاتية في كتاب حسن حنفي، وملامح الرؤية الإسلامية في كتابات د. مازن مطبقاني، وذلك ما جعل موضوع البحث جديدا من هذا الوجه[2].

غير أن الدعوة إلى الارتقاء بدراسة الغرب برؤية ذاتية إسلامية من منهج علمي ونظرية علمية إلى علم قائم الذات ومكتمل الأركان أمر مشروع ومطلوب لا غنى عنه للمسلمين، ولا شك أنه امتداد لجذور معرفة العالم الإسلامي للعالم الغربي، خصوصا إذا علمنا أن ثمة مشروعية في الحديث عن حصيلة ما أنجز حتى الآن في طريق الدعوة إلى الاستغراب، بل ربما يكون هذا الحديث أكثر مشروعية لأمرين، هما:

الأمر الأول: إن الفكر التجديدي والتحولي الذي يحمله الاستغراب يفترض دوما المساءلة في كل لحظة، حتى لا يكون هناك انحراف عن الأسس والمقومات الحقيقية لمثل هذا المشروع.

والثاني: إن هذه المساءلة التي تفترضها عملية إجراء حصيلة ما تم في هذا الطريق قد تساعد في تبديد المخاوف التي يثيرها الحديث عن الاستغراب في الغرب كما في الشرق[3].

ويحدثنا الدكتور أحمد عبد الحليم عطية عن وجهة نظره لتأسيس علم الاستغراب قائلا: «السؤال الآن: ما هي السبيل لتأسيس هذا العلم؟ يمكنني القول باطمئنان أن أطروحتنا جميعا ستظل أطروحات فردية، ما لم تتألف بعض الهيئات من خلال عدد من اللقاءات بين المثقفين والمفكرين العرب والمسلمين من جانب، والغربيين والآسيويين من جانب آخر؛ لطرح قضية العلاقات الحضارية والتعددية الحضارية، باعتبارها أساس علم الاستغراب، الذي يسعى للتفكير في الغرب من خلال المناهج المختلفة التي تتجاوز فكرة المركزية والاستعمارية، إثباتا لتعددية الذات الحضارية، والتي تهدف إلى الانتقال من تعزيز العداء والاختلاف إلى الاعتراف بالاختلاف من أجل تجاوزه. وقد قدمت اقتراحات بذلك

---

(1) أحمد كلاه ساداتي، العالم الإسلامي وعلم الاستغراب النقدي، مجلة الاستغراب، خريف 2015م، ص219.

(2) نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب، ص52.

(3) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2000م، ص287.

بالفعل وراسلت عددا من الباحثين الأوربيين، من أجل تحويل الحوار من مجرد حوار ديني عقائدي إلى حوار علمي إنساني، لكنني لم أجد استجابة، حتى من المؤسسات التي تهدف إلى هذه الأهداف نفسها»(1).

فمن خلال هذا النص يتضح أن تأسيس هذا العلم رهين بتوفير مراكز بحثية في العالم الإسلامي والعالم الغربي على حد سواء، على غرار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، على أن يكون لهذه المراكز منشورات علمية مثل معهد بيروت المشار إليه. وتستطيع هذه المعاهد أن تزود الجهات العلمية في الغرب بالمعلومات الصحيحة، وتسهم بما تنشره من بحوث علمية رصينة بلغات تلك البلاد، وما تقيمه من ندوات ولقاءات ومحاضرات تسهم في تصحيح التصورات الخاطئة عن الإسلام في أوروبا وأمريكا والتخفيف من غلواء العداوة للإسلام في الغرب بصفة عامة(2).

المبحث الثاني: أهمية الدراسات الاستغرابية

إن معرفة الشعوب والأمم الأخرى ليست بدعا ولا أمرا غريبا على المسلمين كما أشرنا إلى ذلك آنفا، فعندما خرج المسلمون من جزيرة العرب كانوا على معرفة بالشعوب والأقوام الأخرى، خاصة أن القرآن الكريم تكلم في سور وآيات عديدة عنهم وعن أحوالهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف: 99)، وقوله تعالى: ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ (ص:13) وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ (الأحقاف: 21).

وفي هذا السياق يؤكد الباحث هاشم أبو الحسن علي ما سبق بقوله: «إن كان للدكتور حنفي مبرراته القوية في أهمية دراسة الغرب؛ فإننا ننطلق في أهمية دراسة الغرب من القرآن الكريم الذي عرض لنا عقائد الأمم الأخرى وبخاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وعقائد المشركين العرب، وانعكاس هذه العقائد على السلوك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

(1) أحمد عبد الحليم عطية، حوارات في علم الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، علم الاستغراب هو جهد إبستمولوجي عميق لمعرفة الغرب، ج1، ص58.

(2) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1409هـ/1989م، ص181.

إن المسلم من أجل أن يدرك عظمة العقيدة التي جاء بها الرسولﷺ لا بد أن يعرف الانحرافات التي حدثت في عقائد الأمم الأخرى والانحرافات السلوكية المنبثقة عن هذه العقائد»[1].

وبالنسبة للدكتور أحمد عبد الحليم عطية فالدافع لمعرفة الآخر والاطلاع على ثقافته وحضارته وتراثه وتاريخه نتج عنه أعمال علمية جليلة ما زالت مصدرا مهما لمعرفة الشعوب والأمم، فقد كانت هناك جهود عربية وإسلامية متعددة منذ عهد الازدهار الأول، الذي نتج عن التلاقي والتلاقح مع العلوم والمعارف الإنسانية المتاحة في هذا العصر، وشهد إقبال المسلمين على نقل معارف الأمم الأخرى، بل ودراسة لغة وتاريخ وثقافة وإنجازات هذه الأمم. ويكفي أن ننظر في عنوان كتاب صاعد الأندلسي «طبقات الأمم»، أو جهود إخوان الصفا، أو جهود أبي حيان التوحيدي في «الحكمة الخالدة»، حتى نرى كيف أسهم الآخر في تكوين الذات، وكيف تحقق وجود حضارة الإنسان المسلم، ووعيه بالعالم من خلال تعرفه على العلوم السابقة عليه، ثم إبداعه لعلوم تتعلق بهذه الأمم والشعوب، وعدم خشيته من التعامل معها أو اعتبارها غزوا ثقافيا[2].

ولعل أهم تجليات عناية المسلمين بمعرفة الشعوب والأمم الأخرى كذلك ما كتبوه وسجلوه عن هذه الأمم أثناء رحلتهم للتجارة والاحتكاك المباشر، فأصبحت كتاباتهم مرجعا عالميا لمعرفة هذه الشعوب، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر رحلة ابن جبير، وابن بطوطة، ورحلات المسعودي، وعبد اللطيف البغدادي، والمقدسي وناصر خسرو وغيرها كثير.

وفي هذا السياق قد أصل البعض لجذور الدراسات الاستغرابية لعلاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة اليونانية عندما كانت الحضارة الإسلامية ذاتا دارسا، استطاعت أن تحول الحضارة اليونانية إلى موضوع دراسة...[3].

(1) هاشم أبو الحسن علي، الاستشراق والاستغراب، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، المجلد: 25، العدد: 25، 2016، ص338.

(2) أحمد عبد الحليم عطية، حوارات في علم الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، علم الاستغراب هو جهد إبستمولوجي عميق لمعرفة الغرب، ج1، ص57.

(3) محمود ماضي، جذور علم الاستغراب وقفة مع الرد على المنطقيين لابن تيمية، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة: 1، 1416هـ/1996م، ص5.

بالتالي فمعرفة المسلمين بالغرب كما مرّ معنا تعد معرفة قديمة والدليل على ذلك التراث الإسلامي الضخم الذي أنتجه المسلمون في معرفة جذور الغرب وتراثه، وهذا التراث نافع لنا من جهتين: جهة علمنا بأصولنا ومدى ما بلغه أجدادنا من المعرفة وقيمة ما حصلوه ومقدار ما فاتهم وما أخطأوا فيه، وجهة علمنا بأصول الغرب وجذوره، فمما لا شك فيه أن الغرب الحديث عرف نفسه من خلال تراثنا نحن، ويشهد بهذا كثير منهم(1)، حتى إن أسوأهم حالا-وهو ما يعتبر المسلمين مجرد سعاة بريد احتفظوا بعلوم اليونان والأقدمين ولم يضيفوا شيئا-إنما يشهد بقيمة التراث الإسلامي في معرفة جذور الغرب ذاته(2).

وتجدر الإشارة هنا أن جملة من الباحثين في الدراسات المتعلقة بالغرب قد أثاروا جملة من الإشكالات العلمية والمنهجية التي توجه منهج دراسة الغرب وتبين أهمية ذلك وفائدته العلمية؛ لعل من أهمها الحديث عن الغاية من تأسيس هذه الدراسات الاستغرابية هل هي تهتم ببناء معرفة عن الغرب؟ أم هي نوع من الاستشراق المضاد منهجا ومسلكا؟ أم هي معرفة انفعالية عن الغرب لخدمة غايات أيديولوجية؟

وممن حاول مقاربة هذه الإشكالات وإيجاد إجابات مقنعة عنها حسن حنفي في كتابه «مقدمة في علم الاستغراب» الذي أطلق على هذه الدراسات المتعلقة بالغرب علما وسمه بعلم الاستغراب كما مرّ معنا من قبل، وذهب إلى أنه يتطلع بمهام معرفية عديدة ومختلفة، يمكن إجمالها على الشكل الآتي(3):

- إقالة الثورات الحديثة من عثراتها، واستكمال عصر التحرر من الاستعمار، والانتقال من التحرر العسكري إلى التحرر السياسي والثقافي، وقبل كل شيء التحرر الحضاري.
- القضاء على المركزية الأوربية.
- رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية، بعد أن انتشر خارج حدوده في عصور الاستعمار.
- القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي يتوحد بها الغرب ويجعلها مرادفة لثقافته.

(1) يقول لويس سيديو بأن المعلومات التي قدمها العرب عن العصور الوسطى»لا تقدر بثمن«، لويس سيديو تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 1969م، ص425.

(2) محمد إلهامي، نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب، ص105.

(3) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، الطبعة:1411ه/1991م، ص19وما بعدها، ومحمد سالم سعد الله، نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة فتوحات، العدد: الأول، جانفي، 2015، ص54.

- القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة.
- إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدلا عن الكفة الراجحة للوعي الأوروبي في مقابل الكفة المرجوحة للوعي غير الأوروبي؟
- تصحيح مفاهيم المركزية الأوروبية المتعالية من أجل إعادة كتابة العالم من منظور موضوعي وحيادي وعادل بالنسبة للحضارات التي أسهمت في البناء المعرفي للإنسانية.
- إنهاء اسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء، وأن أوروبا هي مركز الثقل فيه.

وفي هذا السياق يرى جميل حمداوي أيضا أن من بواعث ودواعي الدعوة إلى دراسة الغرب الرد على المد الاستشراقي، حيث يقول: «إذا كان المفكرون الغربيون يتعاملون مع الشرق في ضوء علم الاستشراق باعتباره خطابا استعماريا وكولونياليا من أجل إخضاعه حضاريا، والهيمنة عليه سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، فإن المثقفين الذين ينتمون إلى نظرية «ما بعد الاستعمار» كحسن حنفي -مثلا- يدعون إلى استشراق مضاد، أو ما يسمى أيضا بعلم الاستغراب بغية تفكيك الثقافة الغربية تشريحا وتركيبا، وتقويض خطاب التمركز تشتيتا وتأجيلا، وفضح مقصدية الهيمنة على أسس علمية موضوعية[1].

وعلى كل حال فمن نظر للدراسات الاستغرابية وأكد على أهميتها وضرورتها يرى أنها لا ينبغي أن تقابل وتحاكي الاستشراق الذي درس التراث الإسلامي من أجل غايات وخلفيات نقدية واستعمارية محضة، ذلك أن المنطلقات الحضارية الإسلامية في التعامل مع الآخر قائمة على القسطاس والعدل والحقيقة، ولا مجال فيها لتزييف المعرفة حول الآخر وخلق صورة نمطية غير موجودة، بل لابد من نقل الصورة كما هي مع إيجاد التصور المطابق والقراءة الموضوعية، وهذا ما يؤكد عليه وائل حلاق في كتابه الماتع «قصور الاستشراق»[2] خاصة في الفصل المعنون بـ «إعادة صوغ الاستشراق وإعادة صوغ الفرد، في ضرورة ارتكاب هفوات الاستشراق في تزييف المعرفة حول الشرق والابتعاد عن خلق صور نمطية سلبية ساهمت في تأجيج الصراع الحضاري[3].

(1) جميل حمداوي، نظرية ما بعد الاستعمار الأطروحة في خدمة علم الاستغراب، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية-بيروت-، العدد 12، السنة 4، 1439هـ، 2018، ص62.

(2) حلاق وائل، قصور الاستشراق: منهج في نقد العلم الحداثي، ترجمة: عمرو عثمان، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2019، ص343-394.

(3) عز الدين معميش، فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر، المرجع السابق، ص68.

وهكذا فالدراسات الاستغرابية ليس الغرض منها التعامل بالمثل الذي تعامل فيه الآخر مع المسلمين؛ ذلك أن قيم المسلمين ذاتها تحول دون ذلك، ولنأخذ مثالا على ذلك فالله سبحانه وتعالى يوجهنا في كتابه إلى كيفية التصرف مع الآخر حتى ولو كان عدوا لنا، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8)، وبذلك لا يجوز أن تكون دراسة الغرب ردة فعل انفعالية ضد الدراسات الاستشراقية التي جانبت الصواب والموضوعية في دراسة الشرق بالتزوير والتشويه والتغيير، فدراسة الغرب وتحليل خطابه وتراثه يمكننا لا محالة من فهمه واستيعاب مراميه وأغراضه، ومن ثم الرد عليه بالحجة والبرهان والدليل القاطع على شبهه وفكره وخطابه العدواني، فكثير من الكتابات الغربية تؤجج الصراع بين الغربيين والمسلمين، وترسم صورة غير صحيحة على الإسلام والمسلمين، ووفقا للدكتور السباعي فالتعصب الديني ما يزال أثره باقيا في كثير مما يكتب الغربيون عن الإسلام وحضارته؛ وأكثر ما نجد إنصاف الإسلام ورسوله عند العلماء والأدباء الغربيين الذين تحللوا من سلطة ديانتهم، ونضرب لذلك مثلا بكتاب«حضارة العرب» لمؤلفه«جوستاف لوبون»، فإنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الإسلام وحضارته.

هذا؛ لأن «غوستاف لوبون» فيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان قطعان من أجل هذا ومن أجل إنصافه للحضارة الإسلامية، لا ينظر إليه الغربيون في أوساطهم العلمية نظر التقدير الذي يستحقه علمه.

فهو -بلا شك- من أعظم علماء الاجتماع والتاريخ في القرن التاسع عشر ومع هذا فقد تحامل عليه الغربيون-وخاصة الفرنسين-لما ذكرناه[1].

وتبعا لذلك فمن أجل غايات ومقاصد هذا المجال العلمي للدراسة التي تروم معرفة الغرب كشف العالم الغربي كشفا موضوعيّا مبنيّا على النقد والتحليل العلمي والثقافي والاجتماعي والأنثروبولوجي والإثنوجرافي والسياسي والاقتصادي، وذلك للوصول إلى رؤية واضحة نحو التعامل معه[2]، وهذا ما ذهب إليه العديد من الباحثين منهم كرم خلة الذي قال: «لدينا وجهة نظر إنسانية، نحن لا نملك هذا التفكير العنصري الموجود في الغرب،

(1) الاستشراق والمستشرقون، السباعي، ص79-80.

(2) من منطلقات العلاقات الشرق والغرب(الاستغراب-المفهوم)، علي بن ابراهيم النملة: https://dralialnamlah.com/article-details/5، تاريخ الزيارة 2023/10/17.

العنصرية -في رأيي- مرتبطة بالإمبريالية، مرتبطة بالنظرة من أعلى إلى أسفل... الباحث الغربي عندما يدرس مصر أو السعودية فإنه يشعر أنه أمام مجتمع بدائي، ويدرس هذا المجتمع من أعلى إلى أسفل، وهذ النظرة العنصرية لم تمت بعد»[1].

كما أن دراسة الغرب هي امتداد للحوار الفكري والعلمي الذي رسمه لنا علماء المسلمين قديما، حيث لم يخل عصر من العصور من حوارات فكرية مع الآخر، وردود علمية على ادعاءات الآخر وأفكاره ومعتقداته وتصوراته الخاطئة حول الإسلام، لنأخذ مثالا على ذلك فالفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة قد انفتح على أديان العالم، وجعلها موضوعا مستقلا للدراسة والبحث، ووضع العلماء لذلك مناهج علمية سديدة: فوصفوا أديان العالم وحللوها وقارنوها وأرّخوا لها انتقدوا بعضها، وكانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى... وهكذا فإنهم بعد أن اختطوه علما مستقلا-أي علم مقارنة الأديان-اتخذوا له منهجا علميا سليما[2].

وعموما؛ فإن الدراسات الشرقية عن الغرب تكتسي أهمية بالغة، سواء في معرفة الآخر الغربي، أو في بيان واستجلاء ما أنتجه الآخر حول حضارتنا؛ ذلك أن انعدام المعاهد والدراسات العليا في الجامعات العربية عن أنفسنا هي السبب الأكبر الذي يدعم الاستشراق، وغالبية الشباب العربي الذي يأتي للدراسة في الغرب يأسسون دراساتهم انطلاقا من خبرة المستشرقين، لكن وإنصافا للحقيقة أيضا ينبغي أن نشير إلى وجود الباحثين العرب في الغرب ممن أنتجوا ثقافة مضادة للاستشراق، ورابطة الخريجين العرب في الولايات المتحدة الأمريكية أكبر نموذج عملي لهذا الجيل من الباحثين الذي خرج منه إدوارد سعيد وكتابه الشهير عن الاستشراق، قد كنا جميعا أبناء الجيل نناقش هذه القضايا كل في مجاله في علم الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة، وكانت المجلة الفصلية للدراسات العربية...تسهم بدورها، وعلى طريقتها في خلق ثقافة إن لم تكن مضادة في بديلة ومتفهمة لقضايا وهموم الشعب العربي[3].

(1) انظر:أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2000م، ص163.

(2) محمد الشرقاوي: مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية«الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة»، كلية درا العلوم بجامعة القاهرة، أبريل 1996م، ص508، وأيضا: محمد عبد الله دراز: الدين، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة: الثالثة، 2008م، ص14.

(3) سميح فرسون، الاستغراب نقد للغرب، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، ص149.

وبعد هذه الإشارات المختصرة المتعلقة بدواعي وبواعث تأسيس الدراسات الاستغرابية ننتقل الآن إلى بيان واستجلاء كيف تتحول هذه الدراسات الاستغرابية من دعوة ينادي بها البعض هنا وهناك، إلى أن تجد مكانتها في الفكر الإسلامي، فتسهم بذلك في تعزيز وتعميق جسور الحوار الحضاري الحقيقي بين العالم المسلم والعالم الغربي، وكذا تصحيح التصورات الخاطئة والزائفة حول الإسلام والمسلمين.

المبحث الثالث: الدراسات الاستغرابية وتصحيح التصورات الخاطئة الرائجة عن الإسلام في البيئة الغربية

تكتسي دراسة الغرب دراسة علمية أكاديمية أهمية بالغة ومهمة في عصرنا الحالي؛ لما لها من أثر في تصحيح صورة الإسلام ومحو التصورات السيئة التي كونها الغرب حول الإسلام والمسلمين، بسبب الحملات التحريضية الممنهجة التي غايتها بث الرعب في نفوس الناس وتخويفهم من انتشار الإسلام ودخول الناس إليه، خاصة إذا علمنا أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تعود جذورها إلى الغرب؛ حيث شاعت وظهرت هذه الظاهرة في المجتمع الغربي وتقوت جذوتها وسطوتها فيه، حيث أسهم الغرب بشكل كبير في تنميط صورة الإسلام بالاستناد إلى خلفية الموروث الكنسي والإستشراقي[1]، وفي هذا السياق يرى خالد سليمان أن: «هناك جهل صارخ بحقيقة الإسلام، وبخاصة الغرب، الذي يستقي معلوماته عن الإسلام من مصادر تفتقر في كثير من الحالات إلى الموضوعية والنزاهة والتجرد، أو الإحاطة الكافية بحقيقة الإسلام وجوهره، فالمناهج المدرسية وحتى الجامعية في العالم الغربي، ما تزال مثقلة بكم هائل من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام، التي تعود في جذورها إلى نتاج المدرسة الاستشراقية، واحدى الأذرع التقليدية الرئيسة للاستعمار الغربي»[2].

وبذلك فالدراسات التي تهتم بمعرفة الغرب من بين مقاصدها وغايتها الوقوف على حقيقة المجتمع الغربي المحاطة به إحاطة شاملة ومتوازنة وواقعية، وكذا البحث في الدوافع والبواعث التي يستند إليها الفكر الغربي في تغذية ظاهرة الإسلاموفوبيا، فالغرب

(1) الطيب معاش، ومحمد عبة، الإسلاموفوبيا: من الجذور والأسباب إلى المظاهر وأساليب المجابهة، مجلة رفوفن مخبر المخطوطات-جامعة أدرار الجزائر، المجلد 11، العدد01، 2023، ص160.

(2) خالد سليمان، ظاهرة الإسلاموفوبيا قراءة تحليلية، من موقع إيران والعرب مساحة للتعارف بين الإيرانيين والعرب المجمع للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ثقافتنا:

http://iranarab.com(13/10/2023).

للأسف الشديد مازال ذلك العالم المجهول نحتاج إلى دراسته دراسة علمية معمقة ودقيقة وشاملة، من خلال بحث عميق في جذوره بروح نقدية للتواصل معه والانفتاح عليه، ومعرفة الأسباب والعلل الحقيقة لمواقفه تجاه الإسلام والمسلمين والرد عليها والتصدي لها بكل الوسائل العلمية المتاحة، وقد وُجدت محاولات ومجهودات قيمة تعد خطوة مهمة للنهوض بهذا الحقل المعرفي، من ذلك «موسوعة الاستغراب» التي صدرت في الدوحة، بإنجاز كرسي الإيسيسكو لتحالف الحضارات في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

كما قد يتعدى هذا الفهم للغرب إلى فهم النخب العربية الإسلامية المتصدرة للمشهد الثقافي والسياسي والاجتماعي، والتي تحاول فرض نموذجها الإيديولوجي الغربي بسطوتها ونفوذها، وتحاول في أحايين كثيرة تشويه صورة الإسلام والإساءة إليه في كل مناسبة سانحة لها، بسبب انبهارهم بما يكتبه المستشرقون حول الإسلام، فيقلدونهم في ذلك بدعوى أنهم يمتلكون المناهج العلمية الدقيقة، وهذا ما نبّه إليه مجموعة من الباحثين، منهم مصطفى السباعي الذي يقول في هذا الشأن: «وبهذا الدأب المتواصل عند علمائهم، والتفرغ الكامل له، والرغبة الاستعمارية والدينية التي ألحت إليها، استطاعوا أن ينظموا الحديث عن ثقافتنا تنظيما بهر أبصار (مثقفينا) واستولى على ألبابهم، وخاصة عندما قارنوا بين أسلوبهم وبين أسلوب كتبنا العلمية القديمة، فاندفعوا إلى الاقتباس من كتب المستشرقين معجبين بعلمهم وسعة اطلاعهم، ظانين أنهم لا يقولون إلا الحق، وأنهم -فيما خالفوا فيه الحقائق المقررة عندنا- أصح حكما، وأصوب رأيا؛ لأنهم يسيرون وفق منهج علمي دقيق لا يحيدون عنه.

ومن هنا نشأت الثقة ببحوث هؤلاء الغربيين والاعتماد على آرائهم، ولم يتح لهؤلاء المثقفين أن يرجعوا إلى المصادر الإسلامية التي استقى منها المستشرقون وغيرهم من الباحثين الغربيين، إما لصعوبة الرجوع إلى مصادرنا أو الرغبة في سرعة الإنتاج العلمي، أو لشهوة الإتيان بحقائق مخالفة لما هو سائد في أوساطنا العلمية والدينية وغيرها...»[1].

ولذلك فالسبيل الأمثل لخلق مناعة فكرية وعلمية تجاه هذه الأفكار والتصورات الخاطئة حول الإسلام بسبب المد الاستشراقي، هو العمل على مجابهة هذه التيارات والرد على هذه النخب بكل موضوعية ونزاهة وعدل، وذلك فالبحث في جذور ومصادر ما يروجه هؤلاء عن الإسلام والمسلمين من أفكار ومغالطات.

(1) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقين، دار الوراق، المكتب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت)، ص81-82.

كما أن هذه المعرفة التي تقوم على فهم المجتمع الغربي من خلال الكشف عن بنيته الفكرية والمعرفية والثقافية بالوسائل والمناهج العلمية الموضوعية تعد وسيلة لفهم وتجاوز أسباب العداء التاريخي بين العالم الشرقي والعالم الغربي: «وعلى هذا لا ينبغي أن نعتبر الاستغراب نظاما معرفيا مقابلا، أو استشراقا مضادا؛ لأن معنى هذا أن يكون علم الاستغراب المنشود علما مرفوضا منذ البداية؛ لأنه لا يقوم على أساس علمي وذلك لأننا في الحقيقة نتعامل ولا زلنا من موقف انفعالي عاطفي حماسي ضد الغرب، وبالتالي نهاجم على الاستشراق بتأسيس علم الاستغراب، بينما، في الحقيقة، إن هناك أهمية كبرى لتأسيس الاستغراب لفهم الغرب وفهم أنفسنا في الوقت نفسه، ولتجاوز العداء التاريخي بين الشرق، وبين النظرة المسيحية للإسلام والنظرة الإسلامية للمسيحية في سياق روحاني أخلاقي إنساني لا من منطق العداء التاريخي»[1].

وممن أكد على هذا الأمر أحد علماء الغرب رودي بارت حينما قال: «ولا بأس من أن ننتهز هذه الفرصة فنثير سؤالا، ولو من ناحية المبدأ، هو السؤال عن إمكانية أن ينشأ في الناحية الأخرى، أي في العالم العربي الإسلامي اتجاه للبحث شبيه بالدراسات الإسلامية عندنا، ولكن في الوجهة المقابلة، يهدف إلى دراسة تاريخ الفكر في العالم المسيحي الغربي وتحليله بطريقة علمية، ويمكن أن يطلق على مثل هذا الاتجاه في البحث-إن أخذ مأخذ الجد وأرسيت له قواعده الثابتة بوصفه نظاما-علم الغرب أو باختصار»الاستغراب»...فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى تحقيق تفاهم أوسع بين العالمين، اللذين ظلا منذ فجر العصر الوسيط قرونا طوالا يقفان أحدهما من الآخر موقف العداء»[2].

فالمعرفة بالآخر الغربي إذن؛ تسهم كثيرا في تقوية وتعزيز جسور وأوصر التواصل والتعايش الفكري والثقافي والحوار الحضاري وخلق حياة مشتركة بين الشرق والغرب، بشرط أن تتجاوز الدراسات الاستغرابية: «كلا من موضوع علم الاستشراق ومنهجه وغايته، والرد الحماسي الانفعالي الشرقي عليه، وصولا إلى موضوع الإنسانية الواحدة التي تعاني مشكلات مشتركة، والتي تخضع إلى طواغيت متنوعة، وتعيش حالة تيه وشرك وعبادة لآلهة كثيرة

(1) أحمد عبد الحليم عطية، حوارات في علم الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، علم الاستغراب هو جهد إبستمولوجي عميق لمعرفة الغرب، ج1، ص59.

(2) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، المترجم / المحقق: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، الطبعة: 2011م، ص20.

هي المال والقوة والسيطرة والنفوذ، ولا ترى لها هدفا ولا غاية ولا قيمة في هذه الحياة سوى اللذة والمتعة والإشباع السريع للرغبات النرجيسية التي تستبعد حياة الفطرة السوية، التي على الإنسان أيا ما كان أن يتصف بها، الهدف إذا هو إنسانية أخلاقية ترفض الكذب والقتل والإبادة الجماعية للشعوب، من أجل حياة واحدة مشتركة حرة كريمة مبدعة»[1].

وبناء على ذلك فالدراسات الاستغرابية ليست ترفا فكريا، ولا طرحا إيديولوجيا موجها، أي أنها ليست استشراقا مضادا، بل هي تأسيس إبستيمولوجي ومعرفي لمعرفة الحضارة الغربية، شخصيتها، فكرها، نظمها، طموحاتها، توجهاتها المستقبلية وموقفها من الآخر، توضح لنا الآليات التي يحيا على أساسها الإنسان العادي، والذي يخضع بدوره لهيمنة الأنظمة السياسية والاقتصادية الغربية، وهو في هذا لا يختلف عنا.

هناك، إذا ضرورة إنسانية وأخلاقية تجعلنا نبتعد عن طرح مركزية مضادة للمركزية الأوروبية؛ لأن هذا يدعم الطرح الغربي في صراع الحضارات، وليس من المطلوب فقط أن ننتقل من مجرد صراع إلى حوار بين الحضارات، فالمطلوب أكثر من ذلك بكثير وهو ما يمكن أن نطلق عليه»تحالف الحضارات»، وتحالف الحضارات هو العنوان الموضح لما يقدمه الفلاسفة اليوم على جانبي المتوسط تحت عنوان «العيش سويا»[2].

وإذا كان دعاة الدراسات الاستغرابية يقرون ويعترفون بأنها لم تتأسس على غرار ومنوال الدراسات الاستشراقية فإنها تتولى القيام بدور فعال في المواجهة العلمية للمد الاستشراقي الذي يشوه صورة الإسلام والمسلمين، وهذا ما أكده العديد من الباحثين، ومن هؤلاء الدكتور محمود حمدي زقزوق الذي يرى أن المواجهة العلمية الجادة للاستشراق تأتي من خلال تلك المواجهة التي لا تكتفي بنعم أو لا، بل تسلك سبيل الدراسة المتعمقة والبحث والدؤوب في جذور الفكر الغربي لمعرفة الأسباب الحقيقة للمواقف الغربية من الإسلام، فالصورة السائدة عن الإسلام في الغرب ليست مجرد صورة وقتية عارضة، ولا هي بنت اليوم، وإنما هي صورة صاغتها قرون طويلة من الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب،«فاستيعاب الإنتاج الاستشراقي حول الإسلام ودراسته دراسة عميقة هو الخطوة الأولى لنقده نقدا صحيحا وإثبات ما يتضمنه من تهافت أو زيف، الأمر الذي يجعل المستشرقين المنحرفين

(1) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، م.س، ص60.

(2) نفسه، ص57.

عن جادة الصواب بفكرون ألف مرة قبل أن يكتبوا تحسبا لما قد يواجههم من نقد علمي يعريهم ويثبت زيف ادعاءاتهم.

ويؤكد هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» حين يشير إلى أن النقد الأوروبي ربما يكون غير عادل في نقاط معينة، ولكن القيام بتفنيد هذا النقد يقتضي بدوره دراسته أولا، إذ لا يمكن نقضه إلا على الأساس نفسه نفسه الذي قام به عليه»[1].

كما يذهب الدكتور زقزوق في هذا السياق أن المدخل الأساسي للوصول إلى النتائج السابقة لا بد من ضرورة فهم جذور المواقف الأوربية من الإسلام، وليس الاكتفاء بظاهر أقوالهم، وهو الذي يجعلنا حين نرد على شبهاتهم وانتقاداتهم للإسلام في المجالات المختلفة أن تكون لنا معرفة دقيقة بهم، فتتحول من الدفاع إلى الهجوم، وذلك يسهم في تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام في العالم الغربي[2].

وعلى إثر ذلك؛ فمن الأدور والوظائف المهمة التي يمكن أن تقوم بها الدراسات الاستغرابية التي تدرس الغرب وتراثه وثقافته وقيمه الإسهام في تعزيز العلاقة بين العالم الإسلامي والغربي، وذلك من خلال محاربة ومواجهة الصور المركزية والمتعالية التي رسخها الاستشراق، بإبراز أعمال وأقوال المستشرقين والمفكرين الغربيين الذين أنصفوا الإسلام ونبيه الكريم من أمثال أعمال المستشرقة الألمانية أنا مارى شيمل (Annemarie Schimmel) وغيرها كثير، وبالتالي الإسهام في التخفيف من داء العنصرية ومجابهة خطاب الكراهية الذي يروم الإساءة للإسلام ويحاول أن يشوه صورته من خلال أساليبه ووسائله، فيتم بيانها واستجلائها والتحذير منها ودحضها.

ولذلك إذا لم يمتلك العالم الإسلامي المعرفة الكافية عن الغرب فلا غرو أن أسباب وعلل الصدام الحضاري ستظل قائمة ومستمرة، فلا بد من الحرص على تفكيك علاقة الأنا بالآخر (الغرب)؛ بغية تحقيق حوار فعال ومثمر، من خلال فهم العلاقة التفاعلية بين الأنا والغير، هل هي علاقة جدلية سلبية قائمة على العدوان والصراع أم هي علاقة إيجابية قائمة على الاخوة والصداقة والتعايش والتسامح؟ وبتعبير آخر، هل هي علاقة قائمة على العدوان والكراهية والإقصاء والصراع الحضاري أم هي علاقة تفاهم وتعاون وتكامل؟[3].

(1) محمود حمدي زقزو، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص149-150.

(2) نفسه، ص181-182.

(3) جميل حمداوي، نظرية ما بعد الاستعمار الأطروحة في خدمة علم الاستغراب، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية-بيروت-، العدد 12، السنة 4، 1439هـ، 2018، ص62.

ومن المجالات البحثية المهمة التي يمكن أن يتطلع بها البحث في الغرب دراسة منابع ظاهرة الإسلاموفوبيا والتصدي لخطر خطاب الكراهية ومحاربة الادعاءات التي تسيء للمسلمين والإسلام بالدليل والحجة والبرهان، والعمل على تصحيح التصورات السلبية الرائجة عن الإسلام والمسلمين في البيئة الغربية، من خلال بث ونشر الوعي بخطورة خطاب الكراهية، وإيضاح الخط الدقيق الفاصل بينه وبين حرية التعبير، وإيجاد وسائل وآليات لمواجهة خطاب الإقصاء والاستئصال والاستعمار لمواجهة المادية الاستعمارية الغربية، ويصبح هذا الأمر ملحا حينما نرى اشتداد: «حملة تشويه لقيم وتعاليم الدين الإسلامي من قبل السلطة البابوية ذات السلطة السياسية في أوروبا، إذ نجد في هذا الإطار الأفكار الدينية المسيحية، التي استهدفت شخصية الرسول ﷺ من جهة، والدين الإسلامي الذي نعت بأقبح الصفات والنعوت، مما يوحي أن الاستراتيجية السياسية -العسكرية والإعلامية- لمحاصرة العالم الإسلامي اليوم باعتباره «العدو الجديد -تستمد مشروعيتها من السيرورة التاريخية المفسرة لطبيعة العداء بين المنظومتين»[1]، ويمكن للترجمة هنا أن تتطلع دور مهم للغاية في إعطاء الصورة الصحيحة عن الإسلام للغرب فترجمة كتابات الغرب إلى اللغة العربية يعين على فهم الفكر الغربي وتحديد الملابسات والأفكار الخاطئة التي تشوبه عن الإسلام، ليتمكن علماؤنا الأجلاء من الرد عليها وتصحيحها في نهاية المطاف.

إن جسر التواصل هذا الذي تبنيه الترجمة الدينية عبر تمكين وتسهيل نقل الفكر الديني الصحيح لكفيل بالتقريب بين شعوب العالم بدل هذا التنافر والخوف الذي نشهده بين العالم الغربي والعالم الإسلامي الذين يجدر بهما أن يكونا متكاملين من أجل تحقيق الخير للبشرية جمعاء بدل تضييع الجهود في توسيع الخلافات[2].

يضاف إلى ما سبق بيانه أن من بين المهام التي يمكن للدراسات الاستغرابية أن تقوم بها في سياق تصحيح صورة الإسلام والمسلمين مراجعة الذات ونقدها، من خلال البحث عن حلول للاختلالات والثغرات التي تسود علاقتنا بالغرب، فلا ينبغي أن تتحول هذه الدراسات إلى نقد الغرب فقط، بل ينبغي توجيه سهام النقد إلى ذواتنا، وفي هذا يقول الناقد الكيني الأصل عبد الرحمن جان محمد: «أعتقد أننا نحتاج إلى الإفصاح بشكل أكثر

(1) محمد عدار، الإسلاموفوبيا الخطاب والممارسة، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2019، ألمانيا، ص9.

(2) بشرى لغزالي، أهمية الترجمة الدينية في حوار الثقافات، مجلة الرابطة المحمدية للعلماء،2011-12-27، https://www.arrabita.ma.



انتظاما، عن الواجبات التي تفرضها علينا هذه الوضعية البينية، وهي واجبات أشعر أنه يمكن استشعارها من وضعية مثقف «العالم الثالث» في الأكاديميات الغربية، إننا لا نزال نكافح ضد الهيمنة المعرفية للغرب، لا نزال نحارب «الاستعمار» و«الاستعمار الجديد»، ولكن بالمقارنة مع التابع في «العالم الثالث»، نحن نعيش في ظروف بالغة الرفعة، بعض النقاد يؤكدون أن نوعا معينا من نظرية ما بعد الاستعمار يمثل هو نفسه جزءا من البنية القائمة على الهيمنة، أي أنه نوع مستمر ومكرر من الاستعمار، ولهذا أعتقد أنه لا بد لنا أن نستمر على خطى جاياتري سبيفاك وآخرين، فنتفحص وضعية ذواتنا في كل هذه النواحي وبشكل أكثر انتظاما»[1].

وإذا كان بعض المسلمين يتحملون قسطا من المسؤولية في تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا خصوصا في المجتمع الغربي، حيث يسهمون في ترسيخ صور نمطية سلبية على المسلمين، من خلال سلوكاتهم وتصرفاتهم التي تخالف مبادئ الإسلام وحقيقته وجوهره، ويقدمون أنموذجا سيئا عن الشخصية المسلمة، فيؤدي الجهل بالإسلام لدى بعض الغربيين إلى إثبات صحة تلك الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، الشيء الذي يستغله دعاة الإسلاموفوبيا للنيل من دين المسلمين وتشويه صورتهم لدى عموم الغربيين إعلاميا وثقافيا

فإن كان الأمر كذلك فإن من واجب مفكري الأمة وعلمائها المهتمين بدراسة الغرب أن يبينوا للغرب ذلك الخلط الواقع فيه بقصد أو بغير قصد بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين أو بين الإسلام والتدين: «وهنا لا يخفى علينا أن الأمة الإسلامية تعاني منذ قرون عديدة واقعا مأزوما على مختلف الأصعدة والمستويات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهو ما ينعكس في وقوف تلك الأمة في ذيل سائل أمم الدنيا على صعيد الإسهام الحضاري والمشاركة في ارتقاء الإنسانية وتقدمها، وهذه الصورة أو الحالة كونت وخلقت خلطا لدى الغرب بين الإسلام وممارسات المسلمين. فأي ممارسة من قبيل المسلمين عبر التاريخ سواء كانوا قادة أم أفرادا تحمل على الإسلام. فهم لا ينظرون إلى الأمر بالعمق الذي يتضح لهم به الفرق بين الأمرين وإقناعهم»[2].

(1) Theory, Practice and the Intellectual: A Conversation with Abdull R.Jan Mohamed, By S.X. Goudie, Juvert: A Journal of postcolonial Studies, published by The College of Humanities and social sciences, North Carolina state university, Volume 1,Issue 2,1997.

(2) الطيب معاش، محمد عبة، الإسلاموفبيا، من الجذور والأسباب إلى المظاهر وأساليب المجابهة، ص169.

وعلى هؤلاء المشتغلين بدراسة الغرب كذلك بالإضافة إلى ما سلف أن يقدموا ويبرزوا للمجتمع الغربي من خلال كافة الوسائل الإعلامية والرقمية المتاحة عظمة الإسلام ومبادئه وقيمه ومقاصده العظيمة، ويبرزا رحمة نبي الإسلام محمد ﷺ، فالذين أساءوا لرسول ﷺ لم يعرفوه حق المعرفة، نتيجة جهلهم بسيرته ودعوته، وما تنطوي عليه من قيم العفو والتآخي والتعارف والتآلف، يقول جل جلاله: ﴿لَقَدْ جاءَكم رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكم عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكم بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 128).

وعليهم أن يظهروا كذلك دعوة الإسلام إلى الرحمة والمودة وتشوفه إلى السلم والأمن والتعارف والتسامح، استرشادا بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13)، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الممتحنة: 8، 9).

الخاتمة:

نخلص من خلال هذه الدراسة إلى استيفاء جملة من النتائج، نجملها في الآتي:

- إن دراسة الغرب برؤية إسلامية ليست ترفا فكريا أو أمرطارئا على أمتنا وحضارتنا، إنما يعد ذلك امتدادا واستكمالا لما قام به علماؤنا وأجدادنا قديما في هذا الشأن؛ ولذلك لا بد من العناية بهذا النوع من الدراسات المهمة من لدن الباحثين والدارسين أفرادا وجماعات في عصرنا الحالي، على اعتبار أن الغرب يمثل ظاهرة متغلغلة في العقل العربي التي تظهر جليا في تيار ما يسمى ب»التغريب«، وعلى اعتبار أيضا أن الإسلام يدعونا إلى الانفتاح على الآخر ومعرفته وفهمه والبحث عن جسور الحوار الحضاري والثقافي معه.
- إن للدراسات الاستغرابية أهمية بالغة في التصدي للتصورات النمطية والخاطئة التي تروج ضد الإسلام والمسلمين في البيئة الغربية ويرددها العديد من أبناء أمتنا الذين رباهم المستشرقون، وأصبحوا أداة طيعة في أيدي الغرب وتياراته، فدور هذه الدراسات التي تدرس العالم الغربي دراسة فاحصة تقديم الإسلام في صورته الصحيحة والحقيقة، لا الصورة التي يقدمها المستشرقون القدماء والجدد، أو

الصورة التي يروجها الإعلام الغربي لنشر وزرع مشاعر الخوف والكراهية حول أمتنا المسلمة وحول المسلمين.

- إن دراسة الغرب برؤية إسلامية مؤصلة تحتاج إلى بذل جهود علمية كبيرة؛ لأجل البحث عن النظريات والمناهج والآليات العلمية المناسبة لدراسة الغرب، فلابد من تعاون مؤسسي واسع في بناء هذا الحقل المعرفي، ولا بأس باستثمار الجهود البحثية الفردية وتوجيهها للمصلحة العلمية العامة.
- لكي تؤدي هذه الدراسات الاستغرابية وظيفتها على أكمل وجه لا بد من اجتناب الأخطاء التي ارتكبها الاستشراق الذي انطلق من خلفيات ودوافع استعمارية تبشيرية قائمة على سوء الظن والحكم المسبق لنقد الإسلام والمسلمين، فدراسة الغرب يجب أن تهتدي بالرؤية الإسلامية في التعامل مع الآخر والقائمة على قيم العدل والقسط وغيرها.
- إن هناك أعمالا وكتابات جليلة وعظيمة أنتجها كثير من المستشرقين، فهم ليسوا سواء حول الحضارة والثقافة الإسلامية، وهم يمثلون بأعمالهم تلك بارقة أمل لمد جسور التواصل الحضاري والديني بين العالم الإسلامي والغربي، فمن واجبنا نحن المسلمين أن ندرس هؤلاء، وندرس أعمالهم من أجل التعريف بها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

لائحة المصادر والمراجع

• ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، عبد الله الكبير وآخرون، القاهرة، دار المعارف.

• أبو جعفر الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى:1415 هـ، 1494م.

• أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2000م

• أحمد عبد الحليم عطية، حوارات في علم الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، علم الاستغراب هو جهد إبستمولوجي عميق لمعرفة الغرب. المجلد 2، 1441هـ/2020م.

• أحمد كلاه ساداتي، العالم الإسلامي وعلم الاستغراب النقدي، مجلة الاستغراب، خريف 2015م.

• بشرى لغزالي، أهمية الترجمة الدينية في حوار الثقافات،مجلة الرابطة المحمدية للعلماء،27-12-2011، https://www.arrabita.ma.

• جميل حمداوي، نظرية ما بعد الاستعمار الأطروحة في خدمة علم الاستغراب، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية(بيروت)، العدد 12، السنة 1439هـ، 2018.

• حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، طبعة:1411هـ/1991م.

• حلاق وائل، قصور الاستشراق: منهج في نقد العلم الحداثي، ترجمة: عمرو عثمان، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2019.

• الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، المترجم / المحقق: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، الطبعة: 2011م.

• الطيب معاش، ومحمد عبة، الإسلاموفوبيا: من الجذور والأسباب إلى المظاهر وأساليب المجابهة، مجلة رفوفن مخبر المخطوطات-جامعة أدرار الجزائر، المجلد 11، العدد01، 2023.

• عبد الله الشارف،»الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر»، منشورة نادي الكتاب لكلية الآداب بتطوان، مطبعة طوبريس، الرباط 2003.

• عز الدين معميش، فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر نحو رؤية موضوعية في استكشاف لآخر، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد100، 1441هـ/2020م.

• لخضر بن بوزيد، الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة الإسلامية، مجلة آفاق فكرية، العدد الأول، ديسمبر 2013.

• لويس سيديو تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 1969م.

• محمد الشرقاوي، مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية»الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة»، كلية درا العلوم بجامعة القاهرة، أبريل 1996م.

• محمد إلهامي، نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب، دار التقوى، مصر، طبعة 1436هـ/2015م.

• محمد بمرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

• محمد سالم سعد الله، نظرية الاستغراب في الفكر العربي المعاصر، مجلة فتوحات، العدد: الأول، جانفي، 2015.

• محمد عبد الله دراز، الدين، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 2008م.

• محمد عدار، الإسلاموفوبيا الخطاب والممارسة، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية

لائحة المصادر والمراجع

والاقتصادية، 2019، ألمانيا.

• محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية1409هـ/1989م.

• محمود ماضي، جذور علم الاستغراب وقفة مع الرد على المنطقيين لابن تيمية، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة: 1، 1416هـ/1996م.

• مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقين، دار الوراق، المكتب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).

• هاشم أبو الحسن علي، الاستشراق والاستغراب، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، المجلد: 25، العدد: 25، 2016م.

• Theory, Practice and the Intellectual: A Conversation with Abdull R.Jan Mohamed, By S.X. Goudie, Juvert: A Journal of postcolonial Studies, published by The College of Humanities and social sciences, North Carolina state university, Volume 1,Issue 2,1997.